الأربعون في

السننِ الإلهية من النصوص النبوية

إعداد

حمزة بن فايع إبراهيم آل فتحي عسيري

١٤٤٢ - ٢٠٢١

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمدُ للهِ رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبه أجمعين ..

أما بعد:

فإن من أعجبِ الموضوعات الشرعية والأممية، موضوعَ السنن الإلهية، والتي اضطلعَ بها القرآنُ اضطلاعا حسنا، ونبه عليها، وأشار إلى العظة بها وسماتها، ولكن النفوس عنها في غفلة، وهذا عجب آخر، يحملنا على تناول هذا الموضوع المتين والمهم، والتنويه به، ولكنْ من خلال السنن الثابتات، والصحاح المليحات، لا سيما وهي متصلة بحياتنا ومعاشنا ونظم الكون التي وضعها الباري تعالى، وتساعد في فهم الحياة ونظامها وحركة قوانينها، واستشراف المسقبل وتطوراته.

وتجلّت أيضا عنايةُ السنة والسيرة النبوية بها، وتماشى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هذه السنن، ونبه على بعضها وأخذ العبرة منها.

والمراد بالسنن الإلهية: أي طريقته وحكمته.

وذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتاوى: أن السنة، هي: «الْعَادَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مِثْلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الْأَوَّلِ».

وعرفها آخر: «النواميسُ التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر، إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين».

وقيل: هي القوانين الحاكمة قدرا في العباد التي تجري باطراد وثبات وعموم، في حياة البشر.

وفي القرآن: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾[1] أي إنما

(١) [سورة فاطر: آية ٤٣].

ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين. ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾[1] أي أجرى الله العذاب على الكفار، ويجعل ذلك سنة فيهم، فهو يعذب بمثله من استحقه، لا يقدر أحد أن يبدل ذلك، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره.

وعرفها بعضُهم: «أنها قوانينُ الله تعالى ونظمه المطردة في خلقه، التي تخضع لها حركتهم الإرادية وغير الإرادية، ويعاملون وفق ميزانها في الدنيا والآخرة».

ويعرفها الدكتور زيدان: «الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة».

ونلحظ تقارب هذه التعريفات، والمقصد، ودورانها حول نظم الله تعالى وقوانينه الجارية في الخلق غلبةً قهرا.

---

(١) [سورة فاطر: آية ٤٣].

ولذلك فإن تلك السنن قهرية لا يمكن صدها أو تجاوزها، وفي تعلمها دروس من الإيمان والعظة والتفكر والثبات.

يقول صاحب المنار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم، لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكونَ فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيلُ عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها».

وقد اتسعت الدراسات القرآنية في مجال السنن الإلهية

والكونية، ولكن حظ السنة النبوية منها قليل، فكان هذا باعثا للكاتب أن يثبَ عليها، ويعلقَ حليةً إيمانيةً في أعناق محبي السنة والأثر، حتى يأثروا بها الوعي، ويستصحبوا العلم، ويُحرزوا الرشاد، وتزيدهم إيمانا إلى إيمانهم، وثباتا على ثباتهم، وتغشاهم السكينة من كل مكان، فلا يخالطهم قلق، أو ينتابهم رعبٌ ومذلة..!

إن معرفة هذه السنن من السنن الصحاح، سينضافُ إلى منظومة العلوم القرآنية، وسيتم بينهما الترابط والتعاضد العلمي في كشف هذه السنن، وتجذير الاتعاظ بها.

وفي الأزمنة المتأخرة تكثر تخبطات الناس، وتهتز عقائدهم، من جراء ما يشاهدون من تسلطٍ وعنت، أو هوان وتفكك، فيظنون انقطاع السنن الإلهية، بسبب قلة العلم، ونقصان التنبيه عليها..!

وقد خفي عليهم درس السيرة النبوية، وكيف جسّد ﷺ تلك السنن ووعاها وراعاها ...!

ولو أُعيدت قراءةُ السيرة والسنة بذلك المفهوم العلمي الواعي، لا لاستخرجنا ما لا يحصى من الدروس والحكم الشرعية والحضارية.

نسـأل الله تعالى أن يلهمنا حسن الفهم والعمل، وجميل العظة والاعتبار، إنه أكرمُ مسؤول، وهو على كل شيء قدير.

١٤٤٢/٢/٢٢ هـ

محايل عسير

❊❊❊

(١) الحديثُ الأول

سُنّةُ الإملاء

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (١) (٢).

فيه ثبوتُ سنَّةِ الإملاء، وأن اللهَ يملي للظلمة، ويُمهلُ المتجاوزين على وجه الاختبار ومضاعفة العقاب والإثم، ثم يأخذهم بغتةً وهم لا يشعرون، ويستنبط هنا سنة أخرى، وهي سنةُ الأخذ والمعاقبة بعد ردح من الزمان طال أو قصر، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٣). وقال: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (٤).

---

(١) [سورة هود: آية ١٠٢].

(٢) البخاري (٤٦٨٦) مسلم(٢٥٨٣).

(٣) [سورة إبراهيم: آية ٤٢]

(٤) [سورة هود: آية ١٠٢].

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «حتى إذا أخذه لم يفلته». بضم أوله من الرباعي أي لم يخلصه، أي إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك، وهذا على تفسير الظلم بالشرك على إطلاقه، وإن فسر بما هو أعم، فيحمل كل على ما يليق به، وقيل معنى لم يفلته: لم يؤخره، وفيه نظر؛ لأنه يتبادر منه أن الظالم إذا صرف عن منصبه وأهين لا يعود إلى عزه، والمشاهد في بعضهم بخلاف ذلك، فالأولى حمله على ما قدمته. والله أعلم.

❋❋❋

(٢) الحديثُ الثاني

سنةُ الضَّعَة الدنيوية

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»(١).

قال في الفتح: «فإن فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع والحث على التواضع، والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله، والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو في

(١) البخاري (٦٥٠١).

محـل الضعـة، فحق على كل ذي عقـل أن يزهد فيه، ويقل منافسته في طلبه.

وقـال الطبـري: في التواضـع مصلحـة الديـن والدنيا، فـإن الناس لـو اسـتعملوه في الدنيـا لزالت بينهم الشـحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة، قلت: وفيه أيضا حسـن خلق النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتواضعـه؛ لكونه رضي أن أعرابيا يسابقه، وفيه جواز المسابقة.

❋❋❋

(٣) الحديثُ الثالث

سنةُ الإخراج والهجرة

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة نزول الوحي فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.... فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: «نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ»[1].

فيه إثبات سنة الإخراج للرسل وورثتهم من العلماء والدعاة، وهي مقدمةٌ للهجرة والانتقال من بلد إلى آخر،

(١) البخاري (٣) مسلم (١٦٠).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[1].

وأنَّ الأنبياء محلُّ عداوة الخصوم، الذين لا يرتضون طريقهم ودعوتهم، كما قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناموسُ هنا هو جبريل عليه السلام، وهو صاحب الخير.

والجَذع - بفتح الجيم والذال المعجمة - هو الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابا ليكون أمكن لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيرا أعمى.

❋❋❋

(١) [سورة النساء: آية ٩٧]

(٢) [سورة الفرقان: آية ٣١].

(٤) الحديثُ الرابع

سنَّةُ الاستخلاف

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٣).

فيه بيانُ استخلافِ الناس في الدنيا، ومشروعيةعمارتها بالخير والعمل الصالح، ومراقبة البارئ تعالى.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى «**الدنيا خضرة حلوة**» يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حسنُها للنفوس، ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإن النفوسَ تطلبها طلبا حثيثا، فكذا الدنيا.

---

(٣) مسلم (٢٧٤٢).

والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين، ومعنى: «**مستخلفكم فيها**»: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته، أم بمعصيته وشهواتكم.

❊❊❊

(٥) الحديثُ الخامس

سنة تحقق النصر

عن ابن عباس في الوصية الذهبية قال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(١).

فيه أن النصرَ لا يحصلُ إلا بالصبر والاحتمال، فهو مقدمة له، وركيزة في طريقه، فلن يتم الانتصار والبهجة إلا على جسر الصبر والمشاق، كما قال القائل:

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها
تُنالُ إلا على جسرٍ من التعبِ

❋❋❋

(١) المسند (٢٨٠٣).

(٦) الحديثُ السادس

سنة التمكين

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

(١) البخاري (٣٦١٢).

في الحديث أن الإتمام والتمكين لن يقع إلا بعد فصول من البلاء والتنكيل، والإفادة من دروس التاريخ، وضخامة صبر المؤمنين الأوائل، وفضل الثبات على الطريق، وأن العقائد الصادقة لا تنهزم أمام العسف، وذم الاستعجال وقطف الثمرات.

قال في الفتح: قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم. قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر ... إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم.

«**قال ابن بطال:** إنما لم يجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال خباب ومن معه بالدعاء على الكفار مع قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[2]؛ لأنه علم أنه قد سبق القدر بما جرى عليهم

(١) [سورة غافر: آية ٦٠].
(٢) [سورة الأنعام: آية ٤٣].

مـن البلوى ليؤجروا عليها كما جرت بـه عادة الله تعالى في من اتبـع الأنبياء فصبروا على الشـدة في ذات الله، ثم كانت لهـم العاقبة بالنصر وجزيـل الأجر، قال: فأمـا غير الأنبياء فواجـب عليهم الدعاء عند كل نازلة؛ لأنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتهى ملخصا.

وليس في الحديث تصريح بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدع لهم، بـل يحتمل أنه دعـا، وإنما قال: «**قد كان مـن قبلكم يؤخذ ...**» إلخ، تسـلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تتقضى المدة المقـدورة، وإلـى ذلك الإشـارة بقولـه في آخـر الحديث: «**ولكنكم تستعجلون**».

❋❋❋

(٧) الحديثُ السابع

سنَّةُ سقوطِ الحضارات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

فيه بيانُ سنةِ سقوط الحضارات المعظمة عند الناس، وأن البقاء لله ولدينه الحق.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الشافعي وسائر العلماء: معناه: لا يكون كسرى بالعراق، ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلمنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما كسرى فانقطع

(١) البخاري (٣١٢٠) مسلم(٢٩١٨).

ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض، وتمزق ملكه كل ممزق، واضمحل بدعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما قيصر فانهزم من الشام، ودخل أقاصي بلاده، فافتتح المسلمون بلادهما، واستقرت للمسلمين، ولله الحمد، وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه معجزات ظاهرة».

❋❋❋

(٨) الحديثُ الثامن

سُنَّةُ الظهور الإسلامي

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ؛ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»(١).

فيه الإيذانُ بظهور الإسلام وتمدد أهله والمنتمين إليه، وأنه كلمةُ الله العليا، وسيتسع اتساعًا مدهشا، وأن العاقبة للمتقين، مهما حصلت العراقيل والمتاعب والصعاب.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما «زُوي» فمعناه: جمع، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال العلماءُ: المراد بالكنزين:

(١) مسلم (٢٨٨٩).

الذهب والفضة، والمراد: كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى».

❋❋❋

(٩) الحديثُ التاسع

سنةُ التقليد الأعمى

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»[1].

فيه اثباتُ سنة التقليد والتبعية في حق هذه الأمة، إذا تخلت عن دينها ومصادر عزتها، وقد تحقق ذلك، وتنتشر صور التقليد الأعمى بلا تريث لا سيما المستضعفون في مقابل الأقوياء الأشداء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنن» - بفتح السين والنون -

(١) البخاري (٣٤٦٥) مسلم (٢٦٦٩).

وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وقع ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال في الفتح: قوله: «**جحر**» بضم الجيم وسكون المهملة «**ضب**» بفتح المعجمة وتشديد الموحدة: دويبة معروفة، يقال: خصت بالذكر؛ لأن الضب يقال له: قاضي البهائم، والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدةِ ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقَهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم».

❋❋❋

(١٠) الحديثُ العاشر

سُنةُ الابتلاء

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(١).

فيه إثباتُ سنة البلاء، وأن صفوة خلقه من الأنبياء وأتباعهم هم أشدُّ بلاءً، وأكثر إيلامًا، وأن الابتلاء على قدر الدين والتمسك، وأن شدتَه زيادةٌ في الأجر والثواب.

قال في التحفة رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «أي الناس أشد» أي أكثر وأصعب «بلاء».

(١) الترمذي (٢٣٩٨).

أي محنة ومصيبة «**قال الأنبياء**» أي هم أشد في الابتلاء لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية، وليتوهن على الأمة الصبر على البلية . ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعا والتجاء إلى الله تعالى.

«**ثم الأمثل فالأمثل**».

قال الحافظ: الأمثل أفعل من المثالة والجمع أماثل وهم الفضلاء».

❋❋❋

(١١) الحديثُ الحادس عشر

سنة الأمان المجتمعي

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

فيه أن الأمانَ والسلامة المجتمعية، إننا تتحقق بحفظ الدين والحدود، وسد ثغرات الوقوع والذنوب، وهي سنة جارية، وعادة ماضية، وتصوير المجتمع كالسفينة الجارية

(١) البخاري (٢٤٩٣).

أبلـغُ دليل على مسـؤولية المحافظة والأمانـة، قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[1].

قـال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يشـملُ الفرقَ الثلاث وهو الناهي عـن المعصية والواقع فيها والمرائي في ذلك، ووقع عند الإسماعيلي أيضا هنا: «مثل الواقع في حدود الله تعالى والناهي عنهـا» وهو المطابق للمثل المضروب فإنه لم يقع فيـه إلا ذكر فرقتين فقـط لكن إذا كان المداهن مشـتركا في الـذم مـع الواقع صـارا بمنزلة فرقـة واحدة، وبيـان وجود الفرق الثـلاث في المثل المضروب أن الذيـن أرادوا خرق السـفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المدهن.

❋❋❋

(١) [سورة الأحزاب: آية ٧٢].

(١٢) الحديثُ الثاني عشر

سنةُ ديمومة الصراع

عن سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: «الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»(١).

فيه إثباتُ سنة الصراع في الأيام، وأنها ما بين نصرٍ وهزيمة، أو قوةٍ وضعف، أو هجوم وتراجع، وديمومة المنازلة بين الخير والشر، والإيمان والشرك.

قال في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه إشارةٌ إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله، وذكر الواقدي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وفيه علم من أعلام النبوة فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت

(١) البخاري (٤١١٠).

الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهدا لهذا الحديث ولفظه «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة: لا يغزونكم بعد هذا أبدا، ولكن أنتم تغزونهم».

❋❋❋

(١٣) الحديثُ الثالث عشر

سنةُ الإهلاك الطبقي

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتشفعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[١].

---

(١) البخاري (٣٤٧٥) مسلم (١٦٨٨).

فيه أن التفريقَ الطبقي بين الناس، وسيادة قانونه الظالم، المفرق بين الأجناس والأعراق، سببٌ للهلاك والإبادة، وأنه يجبُ شيوع نظام العدل والحكم بين الناس بالحقائق وليس بالود والعلائق.

قال في الفتح: وفيه تركُ المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولدا أو قريبا أو كبير القدر والتشديد في ذلك والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه.

وفيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل ومراتب ذلك مختلفة، وفيه الاعتبار بأحوال من مضى من الأمم، ولا سيما من خالف أمر الشرع.

❋❋❋

(١٤) الحديثُ الرابع عشر

سنةُ إجابة المظلومين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»(١).

فيه أن دعوات المظلومين مجابةٌ بلا تمهل، وتحريم ظلم الناس، والحذر من الوقيعة في ذلك.

قال في التحفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنصرنك» بفتح الكاف أي أيها المظلوم وبكسرها أي أيتها الدعوة «ولو بعد حين». الحين يستعمل لمطلق الوقت ولستة أشهر ولأربعين سنة. والمعنى: لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك ولو مضى زمان

(١) الترمذي (٢٥٢٦).

طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد لعلهم يرجعون عن الظلـم والذنوب إلى إرضـاء الخصوم والتوبـة، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله.

❋❋❋

(١٥) الحديثُ الخامس عشر

سنةُ التجديدِ الدعوي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(١).

فيه أن الاسلامَ دينٌ متجدد بعلمائه الذين يقيضهم الله كل مائة سنة، فيحولون دون الضعف والذبول، أو اندراس الشعائر، وهذه سنة ماضية، لا تتبدل ولا تتخلف ..!

يكون تجديدُهم بالدرس والعلم، والدعوة والكتابة، والرد والذب عن الشريعة الغراء.

قال في العون رَحِمَهُ اللَّهُ: «(إن الله يبعث لهذه الأمة) أي: أمة الإجابة، ويحتمل أمة الدعوة. قاله القاري.

---

(١) ابو داود (٤٢٩١).

(على رأس كل مائة سنة) **أي: انتهائه أو ابتدائه إذا قل** العلم والسنة وكثر الجهل والبدعة. قاله القاري.

وقال المناوي في مقدمة فتح القدير: واختلف في رأس المائة هل يعتبر من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة، ولو قيل بأقربية الثاني لم يبعد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث. انتهى.

❊❊❊

(١٦) الحديثُ السادس عشر

سنة التداعي الأممي

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

فيه أن هذه الأمةَ متآمرٌ عليها، مُتداعَى على مكانتها، لصدقها ودينها العظيم الثمين، وأن ذلكَ التداعي واقعٌ زمنَ الذل والهوان.

---

(١) ابو داود (٤٢٩٧).

قال في العون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال في المجمع: أي: يقرب أن فرق الكفر وأمم الضلالة أن تداعى عليكم أي: يدعو بعضهم بعضا إلى الاجتماع لقتالكم وكسر شوكتكم ليغلبوا على ما ملكتموها من الديار، كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع فيأكلونها صفوا من غير تعب. انتهى.

«**الوهن**» أي: الضعف، وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت. قاله القاري.

«**وما الوهن**» أي: ما موجبه وما سببه.

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن.

«**قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت**» وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين، ونسأل الله العافية.

(١٧) الحديثُ السابع شعر

سنةُ تسليطِ الذل

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ - صنف من الربا - وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(١).

فيه بيانُ أن الذل إننا يتسلط علينا وقت الانشغال الدنيوي، والهوس المالي الربوي، والتجريف الجهادي، بحيث لا قوة ولا استعداد، ولا تهيؤ ولا استنفار، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٢).

وفيه ضرورة بقاء الأمة عزيزةً منيعة، وأن يُعالَج هوانها

(١) أبو داود (٣٤٦٢).

(٢) [سورة الأنفال: آية ٦٠].

من حين لآخر.

قال في العون: قال الرافعي: وبيع العينة هو أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر. انتهى.

(وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع) حمل هذا على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد.

(وتركتمُ الجهاد) أي: المتعين فعله.

(سلط الله عليكم ذلا) بضم الذال المعجمة وكسرها أي: صغارا ومسكنة ومن أنواع الذل الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض.

وسببُ هذا الذل والله أعلم، أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين، عاملهم اللهُ بنقيضه، وهو إنزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذناب البقر، بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان . قاله في النيل.

(١٨) الحديثُ الثامن عشر

سنةُ المعاقبة لترك المناكر

عَنْ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بعقابه»(١).

فيه وجوبُ إنكار المناكر حسب الطاقة والدرجات المعروفة، وأن ترك المنكرات تتنامى من اسباب العقوبة، وعموميته، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾(٢).

وقال الإمامُ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتابُ والسنة، وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين،

(١) المسند (١).

(٢) [سورة الأنفال: آية ٢٥].

ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة».

❋❋❋

(١٩) الحديثُ التاسع عشر

سنةُ الحفظ والتوفيق

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

فيه أن حفظَ العبد مرهونٌ بحفظ شرعه وحدوده، فمن حفظ الله وراقبه، حفظه ووفقه وهداه سواء السبيل جزاء وفاقًا.

(١) الترمذي (٢٥١٦). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال في التحفة: «**احفظِ الله**».

أي في أمره ونهيه «**يحفظك**».

أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات

«**احفظ الله تجده تجاهك**»

قال الطيبي: أي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك، والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة.

❋❋❋

(٢٠) الحديثُ العشرون

سنةُ السخط على أعوان الظلمة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ - أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ - لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ»[1].

فيه بيان سنة الله في عقوبة أعوان الظلمة وأنهم في سخط الله ما لم يتوبوا، ولذلك يبتليهم بالخذلان والآفات وسوء العاقبة، وقد يتسلط عليهم ظالمهم.

ويشتهر حديث (من أعان ظالما سلطه الله عليه)، لكنّ الأول أصح منه، قال الشيخ الألباني موضوع: رواه أبو حفص الكتاني في «جزء من حديثه» (١٤١ - ١٤٢).

❋❋❋

(١) ابن ماجه (٢٣٢٠).

(٢١) الحديثُ الحادي والعشرون

سنةُ السببية

عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[(١)].

فيه إثبات سنة وقانون السببية، وأن الله وضع للأسباب مُسبِّبات، لا يمكن للعقلاء تجاهلها.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات».

فمن الأسباب المادية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾[(٢)]. ومن الأسباب المعنوية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[(٣)]».

---

(١) الترمذي (٢٥١٧).

(٢) [سورة إبراهيم: آية ٣٢].

(٣) [سورة الأنفال: آية ٢٩].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا قدح في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع».

❋❋❋

(٢٢) الحديثُ الثاني والعشرون

سنةُ الجزاءِ الإنفاقي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، -أي لا تنقصها- سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ -أي دائمة-»[1].

فيه أن للنفقة عائدةً وتنمية، وجزاءً وفاقا، من أنفق يُنفَق عليه، ومن وسع يوسع عليه، ومن تشدد شُدد عليه، والجزاء من جنس العمل.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو معنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[2] فيتضمنُ الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير، والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى».

---

(١) البخاري (٤٦٨٤) مسلم (٩٩٣).

(٢) [سورة سبأ: آية ٣٩].

وفي الحديث سعَة فضل اللهِ، وعظم غناه، واحتياج الخلائقِ الى فضله وغناه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[1].

❋❋❋

(١) [سورة فاطر: آية ١٥].

(٢٣) الحديثُ الثالث والعشرون

سُنَّةُ التدافع

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

فيه استمراريةُ القتال بين أهل الحق والباطل، وأن الحياةَ ميدان للتدافع والصراع، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(٢).

❋❋❋

(١) البخاري (مسلم (١٥٦).

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٥١].

(٢٤) الحديثُ الرابع والعشرون

سنةُ الخذلانِ والنصرة

عن جابر وأبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من امرئٍ يخذلُ امرأً مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ فيهِ مِنْ عرضِهِ، ويُنتهكُ فيهِ مِنْ حُرمَتِهِ، إلَّا خَذَلَهُ اللهُ تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيهِ نُصرتَهُ، ومَا منْ أحدٍ ينصرُ مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ فيهِ منْ عرضِهِ، ويُنتَهكُ فيهِ منْ حُرمَتِهِ، إلَّا نصرَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحبُّ فيهِ نُصرَتَهُ»[1].

فيه بيانُ عاقبة خذلان المسلم، وأنَّ الجزاءَ من جنس العمل في أمور كثيرة نبهت عليها السنة كالستر والرحمة والتفريج والخذلان والعفو والمسامحة.

(١) أبو داود (٤٨٨٤).

قال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين: «لذلك كان الجزاءُ مماثلاً للعمل، من جنسه في الخير، والشر، فمن ستر مسلمـًا، ستره الله، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيـا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفـس الله عنه كربة من كـرب يوم القيامة، ومـن أقال نادمـًا أقـال الله عثرته يـوم القيامة، ومن تتبع عـورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن ضار مسـلما ضار الله به، ومن شـاق، شاق الله عليه، ومن خذل مسـلمـًا في موضع يجب نصرته فيه، خذله الله في موضع يجب نصرته فيه، ومن سـمح، سـمح الله له، والراحمـون، يرحمهم الرحمن، وإنمـا يرحمُ الله من عباده الرحماء، ومن أنفق، أنفق عليه، ومن عفا عن حقه، عفا الله له عـن حقه، ومن تجاوز، تجاوز الله عنه، ومن اسـتقصى، اسـتقصى الله عليه، فهذا شرع الله، وقدره، ووحيه، وثوابه، وعقابه، كله قائم بهذا الأصـل: وهو إلحاق النظير بالنظير، واعتبار المثل بالمثل».

❋❋❋

(٢٥) الحديثُ الخامس والعشرون

سنّةُ الله في المرائين

عَنْ جُنْدُبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»(١).

فيه ثبوت سنة في المرائين، بالتسميع والتشهير، لفساد نياتهم، وخبث طوياتهم.

قال في الفتح: قال الخطابي: معناه من عمل عملا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه، وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي: يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، ومنه قوله تعالى

(١) البخاري (٦٤٩٩) مسلم(٢٩٨٧).

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾[1] إلى قوله ﴿مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾[2].

وقال: وفي الحديث: استحبابُ إخفاء العمل الصالح، لكن قد يستحب إظهاره ممن يقتدى به على إرادته الاقتداء به، ويقدر ذلك بقدر الحاجة، قال ابن عبد السلام: يستثنى من استحباب إخفاء العمل، من يظهره ليقتدى به أو لينتفع به ككتابة العلم، ومنه حديث سهل: «لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي».

❋❋❋

(١) [سورة هود: آية ١٥].

(٢) [سورة هود: آية ١٦].

(٢٦) الحديثُ السادس والعشرون

سنةُ الله في العصاة المجاهرين

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[(١)].

---

(١) ابن ماجه (٤٠١٩) وسنده حسن.

فيه بيانُ سنة الله في أهل المعاصي والذنوب، وأن الفاحشةَ مؤذنةٌ بالطاعون والأمراض الفتاكة، وذنبُ المكيال والتطفيف سببٌ للمجاعات والجور، وحبسُ الزكاة، حبسٌ للمطر والغيوث السماوية، ونقض العهد الإلهي مفتاحُ تسلط الأعداء، وترك الأحكام الشرعية سببُ حلول البأس والنزاع بينهم.

❋❋❋

(٢٧) الحديثُ السابع والعشرون

سنَّةُ الاستدراج

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ». ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1])[2].

فيه إثباتُ سنة الاستدراج، وهو أخذ العبد، قليلاً قليلاً، من دون مباغتة و إمهاله و عدم تعجيل عقوبته.

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾[3] قال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) [سورة الأنعام: آية ٤٤].

(٢) المسند (١٧٣١١) وسنده حسن.

(٣) [سورة الأعراف: آية ١٨٢].

سنمكرُ بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من مأمنهم، كما قال: فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شيء».

❋❋❋

(٢٨) الحديثُ الثامن والعشرون

سنةُ الاختلافِ البشري

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ(١).

فيه بيانُ الاختلاف البشري في الفقه والأفهام والتوجهات، وأنه سنة الله في خلقه.

قال في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال السهيلي وغيره: في هذا الحديث من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه،

(١) البخاري (٤١١٩) مسلم (١٧٧٠).

وفيه أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، قال السهيلي: ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابا في حق إنسان وخطأ في حق غيره وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد، قال: والأصل في ذلك أن الحظر والإباحة صفات أحكام لا أعيان قال: فكل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التأويل فهو مصيب « انتهى.

وقال أيضًا: الاستدلالُ بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح. وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفادُ منه عدم تأثيمه. وحاصل ما وقع في القصة أنّ بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحا للنهي الثاني، على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخندق.

❋❋❋

(٢٩) الحديثُ التاسع والعشرون

سنةُ التدرجِ في الدعوة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[1].

---

(١) البخاري (١٤٩٦) مسلم (١٩).

فيه بيانُ سنة التدرج في الدعوة، وأن قيامه بالرفق والحكمة، وليس بالسرعة والإجمال، وذلك الأليقُ بالدعوة وقلوب الناس وتلقيهم.

واستحباب البدء بالتوحيد في الدعوة، وأنه أصل الإسلام، وأن لا ينتقل في الدعوة إلى موضوع حتى يفرغ من السابق.

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «ستأتي قوما أهل كتاب» هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان، وليس فيه أن جميع من يقدم عليهم من أهل الكتاب، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر تفضيلا لهم على غيرهم.

❋❋❋

(٣٠) الحديثُ الثلاثون

سنةُ التداول

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة أبي سفيان مع هرقل الشهيرة وفيه... قَالَ: «فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟ قُلْتُ: كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا، يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ، وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى. ثم فسرها بقوله. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ»(١).

فيه بيانُ سنةِ التداول بين الناس، ثم تكون العاقبةُ لأهل الإسلام، ماصبرت وأخذوا بأسبابِ العزة والقوة، قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾(٢).

وقوله: الحرب بينهم سجال، أي: النصر مرةً لهؤلاء، ومرة لهؤلاء.

---

(١) البخاري (٢٩٤١) مسلم (١٧٧٣).

(٢) [سورة الروم: آية ٤٧].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو بكسر السين أي نوَبا، نوبةً لنا ونوبة له، قالوا: وأصله من المستقيين بالسجل، وهي الدلو الملأى، يكون لكل واحد منهما سجل .

وفي رواية: «يصيب منا ونصيب منه» قال في الفتح: «وقعت المقاتلة بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش قبل هذه القصة في ثلاثة مواطن: بدر وأحد والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكسه في أحد، وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق، فصح قول أبي سفيان يصيب منا ونصيب منه، ولم يصب من تعقب كلامه وأن فيه دسيسة لم ينبه عليها كما نبه على قوله: «ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها».

❋❋❋

(٣١) الحديثُ الحادي والثلاثون

سنةُ الغرسِ الإيماني

عن أَبي عِنبَةَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»(١).

فيه أن الغراس الإيمانية مستمرة، لا يقضي عليها قاضٍ، ولا ينهيها طاغٍ، لا تزال تُغرس في الأرض، وتُعمر في الكون، وتؤتي أُكلها بإذن ربها تعالى.

قال الشيخ السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يغرسُ: كيضرب أو من أغرس يقال غرس الشجر وأغرسه إذا أثبته في الأرض والمراد يوجد في أهل هذه الدين ولذا يستعمل أهل الدين

(١) ابن ماجه (٨).

في طاعتـه ولعل هذا هو المجـدد للدين على رأس كل مائة سـنة ويحتمل أنه أعم فيشمل كل من يدعو الناس إلى إقامة دين الله وطاعته وسـنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وغرسا بمعنى مغروسا».

❋❋❋

(٣٢) الحديثُ الثاني والثلاثون

سنةُ الله في نصرة أوليائه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ...»[(١)].

فيه بيانُ حفظ الله لأوليائه الصالحين، وعباده المقربين، لا سيما وهو يتعرضون إلى محن، وتغتالهم عداوات، ولكنَّ اللهَ نصيرهم ويدفع عنهم، ويحارب دونهم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[(٢)].

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) [سورة يونس: آية ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[1].

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**من عادى لي وليا**» المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، وقد استشكل وجود أحد يعاديه؛ لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين، ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة من الجانبين، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله، وأما من جانب الآخر فلما تقدم، وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله، وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته...».

---

(١) [سورة الحج: آية ٣٨].

وقـال الطوفي: «لمـا كان ولي الله من تولـى الله بالطاعة والتقوى تـولاه الله بالحفظ والنصرة، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله، فمـن عاداه كان كمن حاربه، ومـن حاربه فكأنما حارب الله».

❋❋❋

(٣٣) الحديثُ الثالث والثلاثون

سنةُ الإصلاح

عن أَبي حَازِمٍ قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[1].

فيه إرسالُ الأنبياء للسياسة والإصلاح، وأن خلوهم من المجتمعات سببٌ في الضياع والجهالة.

قال في الفتح: وله: «**تسوسهم الأنبياء**» أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم، يقيم أمرهم، ويُزيل

(١) البخاري (٣٤٥٥) مسلم (١٨٤٢).

ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائـم بأمورها، يحملها على الطريق الحسـنة، وينصف المظلوم من الظالم.

❋❋❋

(٣٤) الحديثُ الرابع والثلاثون

سنةُ الاصطفاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ». قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطَنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١).

فيه اصطفاءُ الله تعالى للشهداء من عباده، وتفضيلهم على كثير من الناس.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: المراد بشهادة هؤلاء

(١) مسلم (١٩١٥).

كلهـم غير المقتول في سـبيل الله أنهم يكـون لهم في الآخرة ثواب الشهداء . وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم، ... وأن الشـهداء ثلاثة أقسـام: شـهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتـول في حرب الكفار، وشـهيد في الآخـرة دون أحكام الدنيـا، وهم هؤلاء المذكورون هنا، وشـهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرا.

❋❋❋

(٣٥) الحديثُ الخامس والثلاثون

سنةُ العمران

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ»(١).

فيه استحبابُ عمارة الأرض، وإحياء الأراضي الموات

قال في العون رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأرض الميتة هي: التي لم تُعمر، شبهت عمارتها بالحياة، وتعطيلها بالموت».

قال الزرقاني: ميتة بالتشديد. قال العراقي: ولا يقال بالتخفيف؛ لأنه إذا خفف تحذف منه تاء التأنيث، والميتة والموات والموتان بفتح الميم والواو: التي لم تعمر، سميت بذلك تشبيها لها بالميتة التي لا ينتفع بها لعدم الانتفاع بها بزرع أو غرس أو بناء أو نحوها. انتهى.

---

(١) أبو داود (٣٠٧٣) الترمذي (١٣٧٨).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إحياء الموات إنما يكون بحفره وتحجيره وإجراء الماء إليه ونحوها من وجوه العمارة، فمن فعل ذلك فقد ملك به الأرض، سواء كان ذلك بإذن السلطان أو بغير إذنه، وذلك أن هذه كلمة شرط وجزاء، فهو غير مقصور على عين دون عين، ولا على زمان دون زمان، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء ...».

❋❋❋

(٣٦) الحديثُ السادس والثلاثون

سنةُ الاختلاف الأممي

عَنْ عُـرْوَةَ، أنه قـال لعَبْدِ اللهِ بْـنِ عَمْرِو بْـنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَكْثَرُ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًـا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْـرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُـوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَـا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ: سَـفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَـتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَـبَّ آلِهَتَنَـا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ. أَوْ كَمَا قَالُوا، ..»[1].

فيه إثباتُ سـنةِ الاختلاف الأممـي في العقائد والأفكار بين البشـر، وأن في الباطـل وأهله عنـاداً وتحديا، يحملهم

(١) المسند (٧٠٣٦). وسنده حسن.

على المكابرة والمصابرة، كما قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[2].

قال الإمامُ ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم، على أديان وملل وأهواء شتى، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾[3] فآمن بالله وصدق رسله؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله».

❋❋❋

(١) [سورة ص: آية ٦].

(٢) [سورة هود: آية ١١٩].

(٣) [سورة هود: آية ١١٩].

(٣٧) الحديثُ السابع والثلاثون

سنةُ المقتِ للمشركين المبدلين

عَنْ عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم في خطبته: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،..»[1].

فيه أن الشركَ والتبديل سببٌ لمقت الله تعالى، ولذلك أُرسلت الرسل، وحصلت البلايا على المبدلين.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقت: أشد البغض، والمراد بهذا

(١) مسلم (٢٨٦٥).

المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد ببقايا أهل الكتاب، الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل».

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمَقْت، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[1]، وليس المقت مثل المقت».

❋❋❋

(١) [سورة غافر: آية ١٠].

(٣٨) الحديثُ الثامن والثلاثون

الرفعةُ القرآنية

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِـيَ عُمَرَ بِعُسْـفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْـتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَـالَ: مَنِ اسْـتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْـوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْـزَى. قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَـالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَـالَ: فَاسْـتَخْلَفْتَ عَلَيْهِـمْ مَوْلًـى؟ قَـالَ: إِنَّـهُ قَارِئٌ لِكِتَـابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّـهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِـضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَـا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَـالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[1].

فيه فضلُ الرفعة بالقرآن، وأنه أشرفُ رافعٍ ومرفوع، لمن أخذه بقوة، واقتفى سبيله، وقرأه حق قراءته، وكان فيه عاملًا،

(١) مسلم (٨١٧).

ولسواه هاجرا، قال تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾[1].

واستبان شرعا وحسـًا، أن من حفظه وصدق فيه رفع اللهُ قدره وأعلاه، ومن ضيعه ذل واستُحقر على مدى الأزمان.

وفي الحديـث: فضـلُ العلـم، وضـرورة التسـارع في الخيرات، وأن للضعفاء المؤمنين مكانة وفضلًا.

❋❋❋

(١) [سورة البقرة: آية ٦٣].

(٣٩) الحديثُ التاسع والثلاثون

سُنة التصدي للباطل

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ،.....

وفيه: فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى.....

وفيه حصل قتل الراهب وامتحان الغلام بالطرح من الجبل والقرقور في البحر، وفي كل مرة يقول: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ... فيلميه الله وينجيه ... فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ.

قَالَ: وَمَـا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِـي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي»[1].

فيه عظمُ شأنِ ذلك الغلام، وحُسن تصديه لهذا المعتدي الظالـم، ولو قلَّـت قوته، وهانت عُدتُه ماديـا، ولكنه يملك الإيمان الباسـل، واليقين القوي، حتى إنه ليُجاهدَه بمفرده بـلا خـوفٍ ولا تـردد، وأن الأرضَ لا تخلو مـن مصلحين ومعتديـن يقومـون بواجـب الدعـوة والنصـح والذكـرى الغيورة.

❋❋❋

(١) مسلم (٣٠٠٥).

(٤٠) الحديثُ الأربعون

سنةُ أتباع الرسل وتزايدهم

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث هرقل مع أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم ذكره: قال هرقل: «وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ» -أي حلاوته-[1].

فيه تزايدُ أتباع الرسل، ومحبتهم الدينَ والحق، ولو زادت كُلفته، وعظمت مؤونته، وفضل الثبات، وأن أهلَ

(١) البخاري (٧) مسلم (١٧٧٣).

الضعـف والمسـكنة أقرب للاتباع من أهـل الغنى والجاه، لطيبة نفوسهم.

قال النـووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قوله: «أن الضعفـاء هم أتباع الرسـل» فلكون الأشـراف يأنفون من تقـدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون، فيسـرعون إلـى الانقياد واتباع الحق، وأمـا سـؤاله عن الردة، فـلأن من دخل علـى بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في أباطيل».

❋❋❋

(٤١) الحديثُ الحادي والأربعون

سنةُ تأييدِ الدين بالفجرة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ». في قصة المنافق الذي أبلى في القتال بلاءً حسنا[1].

فيه تأييدُ اللهِ دينَه ورسالته بالفجار والكفرة عبر التاريخ، لا سيما أزمنة تأخر النصر، وغلبة الكفار، وذلك من السنن الماضية التي لا تتبدل، وقد رأينا من ضرب الكفار لبعضهم، تأييدا للمسلمين، وصلاحًا في حالهم وتقدمهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[2].

---

(١) البخاري (٣٠٦٢) مسلم (١١١).

(٢) [سورة الأنعام: آية ١٢٩].

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يظهر أنَّ المرادَ بالفاجر أعم من أن يكون كافرا أو فاسقا، ولا يعارضه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إنا لا نستعين بمشرك»**؛ لأنه محمول على من كان يظهر الكفر أو هو منسوخ، وفي الحديث إخباره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمغيبات، وذلك من معجزاته الظاهرة، وفيه جواز إعلام الرجل الصالح بفضيلة تكون فيه والجهر بها».

❋❋❋

(٤٢) الحديثُ الثاني والأربعون

سنةُ التمييز بين الطيب والخبيث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[1]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[3].

---

(١) [سورة المؤمنون: آية ٥١].

(٢) [سورة البقرة: آية ١٧٢].

(٣) مسلم (١٠١٥).

فيه أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا، سنةً ثابتة، وعادة معلومة، وتمييزُ الشارع بين الطيب والخبيث، واستحباب تطلبه في كل الأحوال والأخلاق والمواقف، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[1].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قل يا محمد: لا يعتدل الرديءُ والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[2]، يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم، لأن أهلَ طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا.

يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلا تعجبنَّ من كثرة

(١) [سورة المائدة: آية ١٠٠].

(٢) [سورة المائدة: آية ١٠٠].

من يعصى الله فيُمْهِله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبَى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي: الطيبُ في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصلُ الطيب الزكاةُ والطهارة والسلامة من الخبث . وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وقد جمعت منها أربعين حديثا في جزء، وفيه: الحثُّ على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره . وفيه: أن المشروبَ والمأكول والملبوس ونحو ذلك، ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره» .

❋❋❋

(٤٣) الحديثُ الثالث والأربعون

سنة المصابرة الطويلة

عن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه المتقدم الذكر، وهو حافل بالدروس والحكم... «وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

فيه بيانُ سنة المرابطة الطويلة، المتضمنةِ للثبات على الطريق، وعدم التزحزح، واحتمال البلاء، ومراعاة الأعادي بثباتك المتين، وصلابتك الطويلة، وكراهية الاستعجال.

وفيه أن العسفَ والبلاء سيزولُ، ولكن له أجل وللأجل انقضاء..!

❋❋❋

(١) البخاري (٣٦١٢).

(٤٤) الحديثُ الرابع والأربعون

سنة الاستبدال

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: «وَاللهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»(١).

فيه انتقالُ رسول الله ودعوته إلى المدينة بدلا عن مكة بعد ثلاث عشرة سنة عجافا، واصطفاء الأنصار بهذا الشرف، وهو فحوى سنة الاستبدال، التي تعرف بأنها استبدال أمة بأخرى، تقوم بدين الله، عملا وجدا ونشاطا، بسبب تضييع الأولى أو إعراضها. وقد قالوا ليلة العقبة ما تتهددهم به اليهود: «إنّ نبيا من الأنبياء مبعوثٌ في هذا الزمان، سيخرج فنتبعه، ونقتلكم معه قتلَ عاد وإرم».

(١) الترمذي (٣٩٢٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

فهاجر رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وظفرت به الأنصار، نصرًا وعلما، ومكانةً وموئلا، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

❋❋❋

تمّ بحمدِ الله الأربعون في السنن الإلهية، والحمدُ لله أولاً وآخراً.

اللهم انفعنا بحكمتها، وفقهنا في درسها ومعانيها.

❋❋❋

الفهرس

- الافتتاحية ٣
- (١) الحديثُ الأول: سُنّةُ الإملاء ٩
- (٢) الحديثُ الثاني: سنةُ الضَّعَة الدنيوية ١١
- (٣) الحديثُ الثالث: سنةُ الإخراج والهجرة ١٣
- (٤) الحديثُ الرابع: سنَّةُ الاستخلاف ١٥
- (٥) الحديثُ الخامس: سنة تحقق النصر ١٧
- (٦) الحديثُ السادس: سنة التمكين ١٨
- (٧) الحديثُ السابع: سنَّةُ سقوطِ الحضارات ٢١
- (٨) الحديثُ الثامن: سُنَّةُ الظهور الإسلامي ٢٣
- (٩) الحديثُ التاسع: سنةُ التقليد الأعمى ٢٥
- (١٠) الحديثُ العاشر: سُنةُ الابتلاء ٢٧
- (١١) الحديثُ الحادس عشر: سنة الأمان المجتمعي ٢٩
- (١٢) الحديثُ الثاني عشر: سنةُ ديمومة الصراع ٣١
- (١٣) الحديثُ الثالث عشر: سنةُ الإهلاك الطبقي ٣٣
- (١٤) الحديثُ الرابع عشر: سنةُ إجابة المظلومين ٣٥
- (١٥) الحديثُ الخامس عشر: سنةُ التجديدِ الدعوي ٣٧
- (١٦) الحديثُ السادس عشر: سنة التداعي الأممي ٣٩

- (١٧) الحديثُ السابع شعر: سنةُ تسليطِ الذل ٤١
- (١٨) الحديثُ الثامن عشر: سنةُ المعاقبة لترك المناكر ٤٣
- (١٩) الحديثُ التاسع عشر: سنةُ الحفظ والتوفيق ٤٥
- (٢٠) الحديثُ العشرون: سنةُ السخط على أعوان الظلمة ٤٧
- (٢١) الحديثُ الحادي والعشرون: سنةُ السببية ٤٨
- (٢٢) الحديثُ الثاني والعشرون: سنةُ الجزاءِ الإنفاقي ٥٠
- (٢٣) الحديثُ الثالث والعشرون: سُنَّةُ التدافع ٥٢
- (٢٤) الحديثُ الرابع والعشرون: سنةُ الخذلانِ والنصرة ٥٣
- (٢٥) الحديثُ الخامس والعشرون: سنّةُ الله في المرائين ٥٥
- (٢٦) الحديثُ السادس والعشرون: سنةُ الله في العصاة المجاهرين ٥٧
- (٢٧) الحديثُ السابع والعشرون: سنَّةُ الاستدراج ٥٩
- (٢٨) الحديثُ الثامن والعشرون: سنةُ الاختلافِ البشري ٦١
- (٢٩) الحديثُ التاسع والعشرون: سنةُ التدرجِ في الدعوة ٦٣
- (٣٠) الحديثُ الثلاثون: سنةُ التداول ٦٥
- (٣١) الحديثُ الحادي والثلاثون: سنةُ الغرسِ الإيماني ٦٧
- (٣٢) الحديثُ الثاني والثلاثون: سنةُ الله في نصرة أوليائه ٦٩
- (٣٣) الحديثُ الثالث والثلاثون: سنةُ الإصلاح ٧٢
- (٣٤) الحديثُ الرابع والثلاثون: سنةُ الاصطفاء ٧٤
- (٣٥) الحديثُ الخامس والثلاثون: سنةُ العمران ٧٦

- (٣٦) الحديثُ السادس والثلاثون : سنةُ الاختلاف الأممي ٧٨
- (٣٧) الحديثُ السابع والثلاثون : سنةُ المقتِ للمشركين المبدلين ٨٠
- (٣٨) الحديثُ الثامن والثلاثون : الرفعةُ القرآنية ٨٢
- (٣٩) الحديثُ التاسع والثلاثون : سُنة التصدي للباطل ٨٤
- (٤٠) الحديثُ الأربعون : سنةُ أتباع الرسل وتزايدهم ٨٦
- (٤١) الحديثُ الحادي والأربعون : سنةُ تأييدِ الدين بالفجرة ٨٨
- (٤٢) الحديثُ الثاني والأربعون : سنةُ التمييز بين الطيب والخبيث ٩٠
- (٤٣) الحديثُ الثالث والأربعون : سنة المصابرة الطويلة ٩٣
- (٤٤) الحديثُ الرابع والأربعون : سنة الاستبدال ٩٤
- الفهرس ٩٦

❋❋❋

التصميم الداخلي للكتاب